تلفتح لدور كهذا .

الحزب الشيوعي في فيتنام مثلا يتميز عن الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى بوحدته التي لا مثيل لها . فمنذ تاريخه الذي يمتد الى اربعين عاما لم يمارس اي تطهير في صفوف قادته الرئيسيين . هذا لا يعني ان الحزب لا يعرف اتجاهات « يسارية » و « يمينية » و « وسطية » او عبادة الشخصية . فهو عرف ويعرف كل هذا . ولكن حتى الان كانت جميع الاختلافات تجد حلا لها بشكل ودي ، اخوي وعائلي ، دون انقسام حزبي وانشقاقات وطرد وازالة بعض القادة . هذه الظاهرة تزداد معنى ومغزى عندما نعلم انه عند ولادته وبدايته في اوائل الثلاثينات كان يلوح وكأن مصيره سيكون مصير الحزب الشيوعي في جارته بورما ، اي التمزق والانقسام الى ثلاثة احزاب . هذا التعبير او الانقسام الذاتي الذي كان نصيب عدد كبير من الاحزاب الشيوعية في الثلاثينات ، والذي رجع فاصبح نصيبها في الستينات ، لم يذر قرنه في الحزب الشيوعي الفيتنامي . لماذا ؟ هل يعود هذا الى كون الشيوعيين الفيتناميين من طينة اخرى غير الطينة التي صنع منها الشيوعيون الاخرون ؟ هل يعني ان قيادته هي ، لسر غريب عجيب ، اكثر ذكاء وتضحية ونكرانا للذات ، وقدرة قيادية ، من القيادات الاخرى ؟ هل يعني ان القيادة وفقت الى مقاييس تنظيمية حزبية لم تتوفر لاحد غيرها فاستطاعت ان تنطوي عليها وتحتفظ بها سرا من الاسرار لا تتسرب الى الخارج ولا يعلم بها احد ؟ لا ، طبعا . السبب الرئيسي الذي يفسر هذه الظاهرة هو ان الحزب ، قيادة وتنظيما واعضاء ، كان مشغولا وغارقا حتى الاذنين يوميا وباستمرار في معركة ضارية وهائلة ودائمة بغية الحفاظ على بقائه وبقاء الشعب الفيتنامي ذاته ضد هجوم الاستعمار والاقطاعية الشرسة والشيء نفسه ينطبق على جبهة التحرير في فيتنام الجنوبية . فان كانت هذه الجبهة تضم ما لا يقل عن اربع وعشرين من المنظمات والهيئات والاحزاب المختلفة ، تعمل يدا واحدة في وحدة ثابتة ، فذلك يعود اولا الى حدة المجابهة اليومية الشاملة مع الاستعمار . هذا يدل انه ان كانت المقاومة عاجزة حتى الان عن تحقيق الوحدة العسكرية والسياسية التي تفرضها معركة « اسقاط اسرائيل » فذلك لا يعود الى خلل ذاتي، بل قبل كل شيء الى كونها لا تخوض معركة ضارية شاملة من ذلك النوع ، ولا تعاني تلك المجابهة اليومية الحادة الجامعة مع الاحتلال . ولكن ان هي كانت لا تعرف تلك المعركة او هذه المجابهة فلان الاوضاع الموضوعية من طوبغرافية وديمغرافية لا تسمح بمعركة ولا بمجابهة على هذا النحو والشكل . هذا يدل بطريق غير مباشرة ، على خطل الفكر المقاوم ، وخطأ الدور الذي شدت اليه المقاومة .

ثم هناك الرأي العام العالمي مثلا ، الذي يتخذ من قضية فلسطين وثورتها موقفا مختلفا عن الموقف الذي يتخذه من فيتنام وثورتها . اننا نتساءل بمرارة وخيبة عن هذا التناقض ، ونرجعه عادة الى اسباب خارجية ، او الى قصور الاعلام العربي . لا شك ان لهذه الاسباب اثرها ، ولكن لا شك انه أثر ثانوي جدا . فان كان « حمام » اوروبا واميركا فيما يتعلق بفيتنام يتحول الى « صقور » فيما يتعلق بقضية فلسطين ، فذلك يعود اولا وقبل كل شيء الى عجز العمل الفدائي عن الارتفاع الى صعيد الثورة الفيتنامية ، من حيث القدرة والفاعلية ، اي الى قصوره عن ممارسة الدور المستحيل الذي شد اليه دور الحرب الشعبية التحريرية على غرار الحرب الفيتنامية . هذا التناقض لا يقتصر على العالم العربي ومفكريه ، بل يمتد ايضا الى الدول الشيوعية في اوروبا الشرقية. ولكن لو ان النضال الفلسطيني استطاع ان يكشف عن شيء يماثل فاعلية الحرب الفيتنامية من حيث الاثر العسكري والتضحيات لكان بامكانه ان يقلب وضع هذا الرأي العام العالمي رأسا على عقب . ولكن كي يتمكن هذا النضال من ممارسة هذا الدور فانه يحتاج الى الاوضاع الموضوعية التي تحيط بالحرب الفيتنامية . وبما ان ذلك لا يتوفر فان وقوف الرأي العام العالمي الى جانبه بالشكل الذي يقف فيه مع النضال الفيتنامي هو ايضا لن يتوفر . وهذا فرق أساسي يميز النضال الفلسطيني عن الحروب الشعبية الاخرى وفي طليعتها الحرب الفيتنامية .

الاشارة الى هذه الظواهر السلبية التي ترافق المقاومة لا ترمي طبعا الى التدليل على الضعف الذي يرافقها بل الى تفسير هذا الضعف بالاوضاع الموضوعية التي تحيط بها ، الاوضاع الموضوعية التي تنفي الدور الذي الزمها به الفكر المقاوم كحرب شعبية على غرار حرب فيتنام والصين